



# القائد أولاً

رائد شرف الدين - النائب الأول لحاكم مصرف لبنان

مؤتمر مجموعة البنك والمستثمر  
الريادة في القطاع المالي: الرؤية المستقبلية  
١ آذار ٢٠١٢ | بيروت

يأتي هذا المؤتمر في توقيت نحن بأمس الحاجة فيه الى التفكير ملياً بمفهوم وممارسة القيادة، ليس فقط على صعيد القطاع المالي والمصرفي وإنما على صعيد كافة القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأكاديمية التي تشكل اركان المجتمع. لا نبالغ اذا قلنا انه علينا اعادة التأمل بالقيادة على المستوى - الأهم والأفعل - على الصعيد الشخصي كأفرادٍ فاعلين في هذا المجتمع.

اذا القينا نظرة تقييمية سريعة على ما يدور في هذا العالم من احداث، نستنتج انه يوجد " ازمة قيادة عالمية" اكبر بكثير مما نتوقع، وهي تتعدى واقع الازمة المالية والاقتصادية، وتتخطى الحراك السياسي المتأجج في البلدان العربية. قد يمكن القول ان هذه الازمة (ازمة القيادة) هي بدرجة أساسية من المسببات الرئيسية للأزمات الأخرى. من هنا يأتي أهمية هذا المؤتمر بتوقيته وعنوانه، وهو القيادة في القطاع المالي: رؤية مستقبلية. وما احوجنا بالفعل الى رؤية مستقبلية في هذا الاطار، بل في كل إطار.

للقيادة بعد فردي وبعد جماعي، حيث تتمحور القيادة في البعد الفردي بشخص القائد وترجم نتائجها في البعد الجماعي من خلال أداء الفريق. فإذا انطلقنا من هذا التحليل يظهر لنا جلياً أن النتائج التي نتعامل معها اليوم، ومعظم تأثيراتها على المدى القصير والمتوسط والطويل

تعود في نهاية الامر الى شخص القائد. بمعنى آخر فإن محورية القائد وتأثير سلوكياته على سير العمل ونتائجه تجعلنا اكثر حرصاً على التركيز على معرفة من هو هذا القائد وما هي مقومات اسلوبه القيادي والتأثيرات التي تعمل على بلورة هذا الاسلوب وطريقته في اتخاذ القرارات. من هنا، وكون هذا المؤتمر هو تجمع للقياديين، فلعل الفرصة مؤاتية لنا جميعاً للتمعن في هذا القائد الموجود في داخلنا وإعادة تقييم اسلوبه القيادي في ضوء الدروس التي يمكن ان نستخلصها مما جرى ويجري حولنا.

هنا، تتبادر الى ذاكرتي حكمة معبرة عن التغيير، تلك المتواترة حول الانسان الذي حاول ان يغير العالم طيلة حياته، وانتهى بالاستنتاج انه لو عمل على تغيير نفسه لربما كان قد غير العالم. وهذا ما ارى فيها نقطة انطلاق لأي قائد ساع دوماً "للتعلم والتأقلم والتطور والمشاركة بهدف التقدم والتغير نحو الافضل.

اذا اردنا كقادة ان نغير العالم - على أقل طموح عالمنا المباشر- ونترك ارثاً وافراً للأجيال القادمة فإنه يجب علينا ان نبدأ، منذ الآن، بالعمل على تغيير انفسنا لأن نحدد المجالات التي يجب ان نبقيها على حالها في نهجنا القيادي وتلك التي تستدعي اعادة النظر فيها بهدف العمل على تدعيمها.

على مدى التاريخ كان - وما زال - للقيادة قواعد عامة وصفاتٍ متشابهة يميز بها القائد، وكانت هذه الصفات هي المؤشر الرئيسي لتعريف هذا القائد، وفي بعض الاحيان لتعريف قيم المجتمع. وإذا كانت المؤسسات تدمج بقيم مؤسسها كذلك المجتمعات تدمج بقيم قادتها. وهكذا يكفي ان ننظر الى قيم القيادة التي تمارس في مؤسسات المجتمع كافة في يومنا الحاضر حتى نكتشف طبيعة القيم التي تسيطر على مجتمعنا ونهجه الفكري.

لقد غامرنا كثيراً بالابتعاد عن القيم القيادية الاساسية، وها نحن ندفع الثمن على كافة الاصعدة. لقد غامرنا كثيراً بالابتعاد عن المبادئ الاساسية للقيادة لدرجة اننا سمحنا لهذا التفكير بالتسرب والتغلغل الى مراكز تهيئة القادة في عالمنا الا وهو النظام التعليمي وخاصة الجامعي منه. وهناك الكثير من الآراء التي تدعم هذا الاستنتاج، كقول ميشال باتري، مدير جامعة الدراسات العليا للتجارة HEC في مونتريال عن رأيه في اسباب الازمة المالية: "ان اسباب هذه الازمة تعود الى مدراء اعمال تعلموا في جامعات لا تعير انتباهاً كبيراً للمسؤولية الاجتماعية والأخلاقية والحوكمة السليمة". كذلك رأي البروفيسور راكش كورانا من جامعة هارفرد: "لقد ابتعدت مدارس الاعمال عن هدفها الاساسي، ألا وهو بناء مهنة ادارة سليمة لمنفعة المجتمع، واستبدلت هذا الامر بالسعي الى ارضاء المستثمرين وأرباب المال".

ان تطرقي الى موضوع الجامعات ينطلق من ايماني الراسخ ان معالجة تحديات القيادة في العالم، وخاصة في القطاع المالي، يجب أن يبدأ في معاهد التعليم، الدراسي كان أم جامعياً، وبالتعاون معها. والتي عليها ان تستعيد تركيزها على بناء كوادر تتمتع بكامل القيم والقدرات القيادية التي تساهم في نجاحهم.

كذلك اغفلت العديد من المؤسسات المالية بناء قدرات موظفيها في مجالات القيادة السليمة والحوكمة الشفافة. وانصرفت إلى الاهتمام بمهارات البيع وخدمة الزبائن، وهي ضرورية لاشك، ولكنها لا تصنع قادة. كما أغفلت التركيز على ان المؤسسة هي جزء من المجتمع وان كليهما يجب ان يعمل على تحسين معايير الحياة الكريمة، و أن الاعمال يجب ان تنتج قيمة مضافة للمجتمع.

من منا لا يوافق أن القائد في القطاع المالي لا يجب أن يتمتع بالقدرة على ترجمة الرؤية إلى واقع؟ ومن منا لا يرى أن نجاح العمل يعتمد على اتخاذ القرارات الحاسمة؟ أو من منا لا يؤمن أن النجاح يعتمد على الفريق بقدر اعتماده على قدرة القائد؟ طبعاً لا يقف الأمر عند هذا الحد فالقيادة تعتمد أيضاً على التواصل الفعال والكفاءة المميزة والقدرة على الإبتكار وأخذ المبادرة للتفاعل مع متغيرات السوق بأسرع وقت وبأكبر فعالية ممكنة.

يمكنني اختصار ما قدمت له بعبارة واحدة "قيادة الذات" و أهمية تطويرها وإنضاجها. ان القائد في القطاع المالي هو نقطة ارتكاز لهذا القطاع. فلا يمكن للمؤسسات المالية ان تنجح وتستمر اذا لم يسعَ القادة في طلب مستمر للمعرفة وتطوير الذات. ان القائد سمي قائداً لأنه دوماً في الطليعة ولديه الرؤية التي تقوده والآخرين. من هذا المنطلق، على القادة أن يكونوا في حال تفاعل دائم مع المعرفة وخاصة تلك المتعلقة بالمعرفة القيادية. فنجاحنا ونجاح مؤسساتنا يعتمد بشكل اساسي على ايماننا بقدراتنا، والاهم على قناعة فريقنا بنا وبثقتنا اننا قادرون على قيادته نحو تحقيق الانجازات بشكل مستمر.

اضافةً، فإنه من مسؤوليتنا ايضاً ان ننقل هذا النفس لكسب المعرفة والتعلم المستمر منا الى كافة كوادرنا البشرية. فحتى لو عملنا على تطوير قدراتنا من دون التأكيد على ان تقوم كوادرنا البشرية، على كافة المستويات، بالجهد ذاته لبناء وتحديث قدراتها، وإذا لم نسهل نحن عملية التعلم والتطور المستمر للمواهب البشرية، فإن جهدنا لن يتعدى كونه جهداً فردياً محدود التأثير.

ختاماً، إن القيادة، وبالأخص في القطاع المالي وفي هذا الزمن أكثر من غيره، تشكل حجر الزاوية لإطلاق عملية الاصلاح الفكري للضرر الحاصل في النهج، والأسلوب، والوسيلة. فكما ان ضعف القدرات القيادية، وفي اماكن كثيرة ثقفتها الزائدة بالنفس، قد ساهمت في حصول تجاوزات على مختلف المستويات، فإن القدرات القيادية الحكيمة المتطورة دوماً هي الوسيلة

الأكيدة للنجاح وضمان التقدم والنمو لكافة مكونات المجتمع؛ خاصةً في القطاع المالي الذي يلعب الدور الرئيس في اصلاح البوصلة وإعادة التقدم بالاتجاه الصحيح!

وشكراً.